حِبر أبيَض
WHITE INK

محمد الساعد

الشذوذ داخل غرف السلاطين العثمانيين!!

تكشـــف كثير من المصادر التاريخيـــة التي رصدت التاريخ العثماني ما كان مســـتورًا داخل القصور الســـلطانية، من قصص الجنس والشذوذ، تلك الحكايات التي غُيِّبت منذ عقود طويلة وكانت تُحْكَى سِـــرًّا؛ خوفًا من بطش المتَنَمِّرين والمنحازين إلى الثقافة العثمانية، وبلا شك فإن الصورة التي يكتشـــفها الباحثون عن حقيقة العثمانييـــن المؤلمة الصادمة، التي تختلـــف تماما عن تلك الصورة الرومانسية التي امتلأت بها سير السلاطين العثمانيين، وعلى وجه الخصوص السلاطين الذين دُونت سيرتهم وتغافلت كثيرًا عن القصص الحقيقية وراء أسوار القصور.

تلك الصورة الذهنية المزَوَّرة التي رســـمها مدونو التاريخ التركي للسلاطين العثمانيين تكاد تصل بهم الى درجة الملائكة، بينما هم شـــياطين في ثياب الملائكة، لقـــد أُخفيت الحقيقة عن قصد، وزُوِّرت عن عمد؛ ولكن لا يمكن التغافل عنها.

ولعـــل المزورين لـــم ينتبهوا إلى أن الأرشـــيف العثماني نفســـه دون الحكايات والقصص الحقيقية عن الحياة اليومية للســـلاطين، بما فيها من تفاصيل إدارة الحكم وتحويل موارد السلطنة إلـــى حياة باذخة، تمول الحرملك والأغوات والعبيد، فضلاً عن كتاب ومؤرخين ودبلوماســـيين عاصروا بعض السلاطين.

وأهـــم الحقائق التي حـــاول المزورون إتلافهـــا وتغييرها، هي علاقة الســـلاطين بالجنس والشذوذ والاستعباد الجنسي التي مارسها الحكام العثمانيون؛ بل حافظوا عليها وشرَّعوها بالفتاوي والفرمانات، تلك التي أدركت ملايين الأطفال والفتيات الصغار، الذين سُـــرِقوا من أوربا والبلاد العربية، لقد قدَّر المؤرخون أن ســـوق النخاســـة في إســـطنبول وصلت بعد حكم محمد الفاتـــح إلى أكثر من مليونَي ونصف جرى إحصاؤهم في المدوَّنات العثمانية.

وفي واحدة من أهم أمثلة الطبقية المجحفة والاستحواذ على السلطة، أن كثيرًا من الأتراك الذيـــن حاولوا ارتقاء السُّـــلَّم الاجتماعي في تركيا العثمانية، لم يجدوا ســـبيلاً إلـــى العبور نحو الغنى والوظائـــف إلا أن يجعلـــوا من أطفالهم عبيـــدًا، ويجعلوا من بناتهم محْظِيَّات في قصور الســـلطان وبطانته التي اشتغلت بنفس ما اشتغل به السلاطين.

ولعل محمد الفاتح وســـليمان القانوني هما من أشـــهر الســـلاطين الذين كتبت سيرهم التاريخية بعناية فائقة، وجرى تزويرها من أجل الحصول على انطباع وولاء للدولة العثمانية على مدى قرون من الوهم والخداع، فهما في الوجدان العربي والإســـلامي شـــخصان مقدران ومقدسان إذا صحَّ التعبير، بســـبب التزوير الممنهج الذي مورس في العقـــود الماضية، إضافة إلى أن العثمانيين الجدد سخَّروا الدراما التركية ووظَّفوها بعناية لنشـــر الدعاية التركية عن السلطنة وحُكَّامها، وإظهار أمجاد وحكايات وبطولات أسطورية لأشخاص كانوا غارقين حتى آذانهم في الملذات والاستبداد.

لقد كانت حياتهم الجنســـية الشـــاذة تخالف تلك الصورة التي رُسمت لهم بعناية، ودُعِمَت بالأموال، والدعاية والدراما والقوة الناعمة، ولذلك يحرص المتواطئون من داعمي "العثمانية الجديدة"، وهم في أغلبهم إخوان مســـلمون، وإسلاميون، وقوميون أتراكا، ومن يســـمون أيضا بالعرب الأتراك مستلبي الثقافة التركية، والمهووسين بها.

إعـــادة إنتاج ما يســـمى بالخلافة العثمانيـــة يجري عن طريق خلق قصص أســـطورية عن العثمانية وإبراز قصص الحرب والفروسية عن السلاطين، وإخفاء قصص الاستعمار التي مورست ضد كثير من الأمم وخاصة العرب، وما لحقهم من الظلم والاستبداد والعنصرية التركية.

لقد ابتكر السلاطين عادات شاذة لا يمكن وصفها، واستغلوا الأطفال الأبرياء لإخراج أسوأ ما فيهم من شـــذوذ ورغبات منحرفة، كل تلك الممارسات رُصِدت في الكتب والسِّيَر، عن العادات الشاذة التي انتشـــرت داخل القصور، وبين الطبقات الحاكمة في التمتع بالغلمان والاستحمام الجماعي في حمامات الحليب.